PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(9): 408-423
ISSN:1553-6939

Women's fingerprints as building blocks of society

Dr. Hada Achouri[1], Dr. Nabil Rabia[2]

[1]"Class A" Research Master, Research Center For Islamic Sciences And Civilization- Laghouat - Algeria, E-mail: h.achouri@crsic.dz
[2]University Echahid Hamma Lakhdar -El Oued (Algeria), E-mail: Nabil-Rabia@univ-eloued.dz

Published: 09/2024

Abstract

The family is the first rock to build a sound wall in an integrated society. Therefor the first basis for building the latter is the family and the relationship between them is an integrative one.

The family is diverse in its members and women are the cornerstone of it. Therefore the most important element that we must focus on is the woman as a mother, sister, wife and a daughter. Thus, no one denies the prominent role that she plays in society.

To have a sound beginning, the starting point must be the family. Therefore, the development carried out by women is the start of a successful house by forming individuals and building on meaningful foundations.

Keywords: woman, family, society, promotion.

بصمات نسائية في وضع لبنات مجتمعية

د. حدة عاشوري[1]، د. ربيع نبيل[2]

[1]أستاذة بحث أ، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر، البريد الإلكتروني: h.achouri@crsic.dz

[2]أستاذ محاضر ب، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، البريد الالكتروني: Nabil-Rabia@univ-eloued.dz

ملخص:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء جدار سليم في مجتمع متكامل، وعليه فالأساس الأول لبناء هذا الجدار هو الأسرة، والعلاقة بينهما هي علاقة تكاملية.

والأسرة على تنوع أفرادها، المرأة هي حجر الزاوية فيها لذلك فأهم عنصر نركز عليه هو المرأة، باعتبارها أما وأختا وزوجة وبنتا، وعليه فلا أحد ينكر الدور البارز الذي تقوم به في المجتمع.

وحتى تكون بداية الطريق سليمة، وجب أن نكون الانطلاقة من الأسرة، لذلك كانت التنمية التي تقوم بها المرأة منطلقها البيت بتكوين الفرد وبنائه على أسس سليمة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الأسرة، المجتمع، ترقية.

مقدمة:

البناء الاجتماعي هو الهيكل أو التنظيم الاجتماعي لكيان المجتمع، وعليه يقوم مجتمع سليم متكامل يسير بخطى ثابتة نحو الرقي. وحتى تكون انطلاقة السير صحيحة وجب أن تكون البداية من الأسرة. على اعتبار أنها أهم دعامة يقوم عليها المجتمع، وعليه فصلاحها يعني صلاحه. وأساس الأسرة هي المرأة الصالحة،

لذلك كانت أهم تنمية تقوم بها المرأة هي ما تنطلق به من البيت، بتكوين الفرد وبنائه على أسس سليمة، وهذا طبعا لا يتأتى إلا باهتمامها بداية بنفسها ثم بعد ذلك بزوجها وأولادها بالتبع. بقي أن نعرف:

فكيف ساهمت المرأة في بناء مجتمع سليم ومتكامل؟

المطلب الأول: قيام المرأة على أسرتها:

الأسرة هي الخلية الأولى التي يتكون منها المجتمع، فصلاحها هو صلاحه، وفسادها هو فساده، وأوّل ركيزة تقوم عليها الأسرة هي المرأة الصالحة.

فمساهمة المرأة في ترقية مجتمعها انطلاقا من خليتها الأولى التي وجدت فيها وهي البيت، وعليه فوجودها فيه بالدرجة الأولى من أجل المساهمة في إنتاج عنصر بشري للمجتمع، سواء كانت أما أو أختا أو زوجة أو بنتا.

فالمرأة خلقت أصلا من أجل هذه المهمة: " فمما لا شك فيه أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلق على هيئة تخالف تكوين الرجل ".[1]

فالمرأة صاحبة وظيفة مهمة تجعلها مهيأة لتحمل وتسهر وتربي، وما أعظمها من مهمة.

فمهمة المرأة الأساسية والأولى هي إنتاج العنصر البشري وتوفير الراحة النفسية والجسدية له، لينطلق بدوره إلى المجتمع بكل طاقته لينتج بدوره ويكون عنصرا فعالا، وهذا أكبر رد على من يعتبر المرأة وهي ماكثة في البيت غير عاملة، فيكفيها نبلا هذا العمل الجبار الذي تقوم به وهذا أكبر دليل على أنها تتميز بقوة نفسية وفيزيولوجية مكنتها من احتواء الرجل في كل مراحله.

وعليه فإن أول دور تقوم به المرأة هو إنتاج عنصر بشري منتج باختلاف أنواعه، وهذا العنصر البشري الذي أنتجته بدوره سيكون فعالا في مجتمعه ويعمل على نفعه ورقيه حسب مكان تواجده أكيد.

[1]– د. ثناء محمد إحسان. المرأة في الاقتصاد الإسلامي. ص: 151.

بقي الآن أن نتتبع مسيرة المرأة لنقف على مساهمتها في ترقية مجتمعها من خلال أسرتها.

فكيف استطاعت المرأة ترقية مجتمعها من خلال قيامها على العنصر البشري في أسرتها؟

– الفرع الأول: مساهمة المرأة في ترقية مجتمعها من خلال العنصر البشري:

أول مستقر للمرأة هو البيت، وأول عمل تؤديه في بيتها مع أسرتها الصغيرة، ولا يستطيع أن ينكر هذا إلا جاحد، ومع هذا العمل استطاعت بعض النساء أن تثبت تواجدها في بعض الأعمال الأخرى التي اقتضت الضرورة تواجدها فيها وهذا ما بينته الكثير من الأدلة عن حجية عمل المرأة، ردا على من اعتبر خروجها من البيت محظورا، والأدلة على هذا من النصوص الشرعية كثيرة.

وهذا ما نستخلصه من صنيع البخاري عندما بوب في كتاب النفقات بابا بعنوان: باب عمل المرأة في بيت زوجها، وأورد تحته حديث فاطمة –رضي الله عنها– المشهور * والذي تشتكي فيه لزوجها ما تلقاه من مشقة وهي تعمل في بيتها، فما تقوم به المرأة داخل بيتها يعتبر عملا، والانطلاقة تكون من بيتها، فماذا تعمل المرأة وهي في بيتها؟

I–الزوجة هي أول داعم لزوجها:

المرأة باعتبارها المسؤولة الأولى عن بيتها والراعية المباشرة له؛ عملت فيه بداية، مطيعة بذلك لرسولها الكريم ﷺ حين قال لها: ما رواه ابن عمر–رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ: « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** ».[1]

ومعنى هذا الحديث كما جاء عند الشراح "من رعى يرعى وهو حفظ الشيء وحسن التعهد له والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وكل من كان تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ".[1]

* الحديث سيأتي تخريجه.

[1]– البخاري، صحيح البخاري، باب المرأة راعية في بيت زوجها (31/7) برقم: 5200.

أي أن كل من هم تحت وصاية الزوجة في بيتها هم: زوجها وأولادها فهي ملزمة برعايتهم وحسن القيام بهم حسب طاقتها دون أن تدّخر جهدها في ذلك.

وخص الحديث بالذكر المرأة كونها راعية في بيت زوجها وولده " يعني أنها ملزمة بحسن التدبير والتعهد لخدمته ".[2]

وهذه الخدمة متنوعة حسب الحاجة إليها وهذا ما أثبتته كل امرأة وهي تقوم ببيتها وبمن فيه.

فالإسلام أوصى المرأة بأن تحسن رعاية أسرتها وأن ترعى كل من تعولهم وترعاهم، واعتبرها ولية أمرهم وأعطاها كل الصلاحيات بأن اعتبرها كذلك لأن، الولى الذي عليه القيام بهم على أكمل وجه، وهذا ما تقوم به كل امرأة في بيتها.

والمرأة باعتبارها المسؤولة الأولى على الأسرة ومنذ مبعثه ﷺ، فلقد كانت المعين الأول للدعوة –بدءا بخديجة –رضي الله عنها– التي وقفت مع رسول الله ﷺ منذ أن نزل عليه الوحي ودعمته بما لها حين حرمه الناس، فكان مالها أول معين للدعوة، وكان على إثر ذلك الصحابيات الجليلات في بداية الدعوة، فكن العقل المدبر والدرع الواقي والمساند الأول وقت المحنة والشدة التي مر بها المسلمون الأولون، فأثبتت المرأة في الواقع جدارتها في تحمل كل المسؤوليات الملقاة على عاتقها.

فكانت المرأة القرشية وبشهادة نبيها أول من أثبتت ذلك، بمساندتها للدعوة وهي في مهدها لما اتصفت به من خصال ميزتها عن غيرها من النساء.

وبتبع مسيرة المرأة ومساهماتها المختلفة وفي جميع مناحي الحياة، نجد أنها كانت المساندة الأولى لزوجها وأولادها باعتبارها زوجة وأما، بما تحمله الكلمة من معاني، بمن فيهم المرأة التي خصها الرسول بالذكر في الحديث.

اذ قال رسول الله ﷺ فيها:« **خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده** ».[1]

[1]– القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما) النساء: 24

[2]– القسطلاني، إرشاد الساري، (99/8)

فالمرأة في بداية الدعوة كان شغلها الشاغل في عملها مع رسول الله ﷺ هو وضع الأسس الأولى لبناء المجتمع المسلم الجديد كغيرها من أي مسلم، فأثبتت جدارتها مع زوجها بما أتاها الله من قوة وعزم وصبر، فكان لها دور كبير في إنجاح الدعوة الإسلامية في مهدها.

فالدعوة الإسلامية في بدايتها اقتضت نوعا معينا مع العمل السري والجهري، ولكن وظيفة المرأة مع أسرتها تبقى أول وظيفة، فهي لم تفرط في وظيفتها الأولى التي خلقت من أجلها وهي رعاية أهل بيتها، وهذا ما بينه الحديث السابق لما ذكر نموذج من النساء–القرشية–بالتذكير ببعض ما تقمن به من اعمال.

لذلك فالمرأة القرشية هي أول امرأة أعطت المثال على حسن التبعل والقيام بالأولاد.

ودليله ما قاله رسول الله ﷺ أن خير النساء هن نساء قريش، فقال المهلب: " إنما يركب الإبل نساء العرب، ونساء قريش من العرب، فنساء قريش خير نساء العرب".[2]

وسبب الخيرية مذكور في الحديث وهو لسببين: السبب الأول أحناه على ولد بمعنى " من الحنو وهو العطف والشفقة".[3]

والسبب الثاني هو خاص بالزوج وهي الرعاية، فقوله أرعاه يشرحه الخطابي في قوله: " من الإرعاء وهو الإبقاء، يقال: رعاه يرعاه رعيا من الرعاية، وأرعى عليه أي أبقى ".[4]

والحديث يزكي فئة معينة من النساء وهن من قريش، وما استوجب كونهن من الأخيار هو، " حنوهن على أولادهن ومراعاتهن لأزواجهن وحفظهن لأزواجهن".[5]

والدعوة الإسلامية وهي في مهدها ما أنجحها ودعمها غير المرأة القرشية التي وقفت مع الرجل تسانده بما أوتيت من قوة، وهذا دليل على " كرم نفوسهن، وقلة غائلتهن لمن عاشرهن وطهارتهن من مكابدة الأزواج ومشاحنتهن ".[6]

---

[1]– أخرجه البخاري، باب إلى من ينكح وأي النساء خير، (6/7) رقم:5082.

[2]– ابن بطال، شرح صحيح البخاري، باب إلى من ينكح؟، (175/7).

[3]– البغوي، شرح السنة (167/14).

[4]– البغوي، شرح السنة (167/14).

[5]– البغوي، شرح السنة (167/14).

[6]– ابن بطال، شرح صحيح البخاري، باب إلى من ينكح؟ وأي النساء خير (175/7).

لذلك حظيت القرشية بالأفضلية أكثر من غيرها، لأنها قدمت وعرفت بأكثر ما عرفت به غيرها، أهمها القيام بمن تعولهن الابن والزوج، وهذا ما فضلها عن غيرها وعرفت به.

و ما قدمته القرشيات لمن تعولهم في أسرتها جعلها تذكر في الحديث و أمام الأشهاد، فأعطين نموذجا حسنا في هذا،، فأحسنّ في مراعاتهن لأزوجهن وهذا بطرق شتى أبسطها "مراعاة حق الزوج في ماله وحفظه والأمانة فيه وحسن تدبيره في النفقة وغيرها وصيانته"[1]

وفسّر الهروي القاري أن المرأة راعية لمال زوجها أي ذات يده، قيل أنها كناية عما يملك من مال أو غيره، أي أنهن أحفظ النساء لأموال أزواجهن وأكثر هن اعتناء بتخفيف الكلف عنهن".[2]

يعني هذا أنها لا تطالب زوجها فوق طاقته بعدم التبذير وحسن التدبير، في حين هناك من يرى أن المرأة التي ترعى زوجها في ذات يده كناية " عن البضع الذي يملك الانتفاع به يعني هذا أد حفظا لفروجهن".[3]

وهذا أكبر دليل على أن المرأة القرشية من بين أرعى النساء لحقوق زوجها الظاهرة والخفية، وبالكثير من الشواهد لذلك استحقت أن توصف بأنها خير النساء، وعليه فإن أصل النساء المباركات يبدأ من المرأة القرشية التي أنجبت أمثال رسول الله- رضي الله عنها-، وتكون بذلك قد ساهمت بقسط كبير في إنجاح الدعوة، والنماذج كثيرة لا تعد ولا تحصى عنهن، ممن كان لهن الدور الكبير والبارز في ترقية مجتمعاتهن بدءا بأسرهن.

فالمرأة هي صانعة الأجيال الأولى باعتبارها أما وبنتا وأختا، لما حظيت به من قوة على التحمل والصبر اللذان أهلاها لهذا العمل العظيم، والذي تقوم به لتناسبه مع فطرتها وظروفها الاجتماعية والعائلية، وخير من ضرب لنا هذا المثال في هذا هنّ زوجات النبي- رضي الله عنها- وبعدهن الصحابيات الجليلات في حسن رعايتهن لأزوجهن بدافع الإيمان طاعة لله بإتيان أوامره والامتثال للتعاليم النبوية.

فعمل المرأة الذي تساهم به في اضافة لمجتمعها لا يشترط أن يكون خارج بيتها، كما لا يشترط أن يكون مدرا للأموال وهو ما أطلقنا عليه لفظ الكسب، وإنما هو طاعة الله ابتغاء مرضاته ونيل الأجر منه، وهذا ما قامت به المرأة في بيتها حين اعتبرت نفسها راعية له فأحسنت إلى زوجها طاعة لربها لقوله تعالى: (**مِنْ آيَاتِهِ**

[1]- النووي، شرح النووي على مسلم، باب من فضائل نساء قريش (80/16)، وانظر ابن حجر، فتح الباري، قوله إلى من ينكح وأي النساء خير (125/9)، العيني: عمدة القارئ، باب إلى من ينكح؟ وأي النساء خير؟ (512/9)، السيوطي: شرح السيوطي على مسلم برقم: 2338 (331/5)، القسطلاني: إرشاد الساري باب حفظ المرأة زوجها في ذات يده (205/8).

[2]- نور الدين الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح رح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط1422 ،I، كتاب النكاح (2044/5).

[3]- زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، ط 1356 I، حرف الحاء (492/3).

أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). الروم: 21

فكان نموذج الصحابيات زمن رسول الله ﷺ أبرز نموذج يحتذى به، حتى أن عنايتها بزوجها هو أحد أبوابها إلى الجنة.

ولعظم حق الزوج على زوجته، جعل الله أداءها للعبادة يعادل طاعة زوجها كما أنه باب من أبواب دخولها الجنة في قوله ﷺ: « **إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب شئت** ».[1]

وهناك الكثير من الأشياء التي تدعم بها المرأة زوجها، كيف فعلت المرأة ذلك؟

– كيف دعمت المرأة زوجها؟:

أشاد رسول **الله** ﷺ بخير النساء وبيّنهن حين سئل عنهن، فعن أبي هريرة –رضي الله عنها–قال: **"قيل لرسول الله ﷺ أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها وماها بما يكره"**.[2]

فعديدة هي مظاهر حسن تبعل المرأة لزوجها، وذكرها الحديث من بينها:

أ– اهتمامها بنفسها:

– تسره إذا نظر إليها: " أي رأى منها البشاشة وحسن الخلق ولطف المعاشرة ".[3]

وهذا لا يأتي إلا بعنايتها بنفسها لتحصين زوجها، وقد حرصت السنة النبوية على هذه النقطة والسلوك الفطري الذي وجب على المرأة المسلمة الحرص عليه عملا على طاعة ربها بداية ثم إرضاء لزوجها بعده.

[1] – أخرجه أحمد في المسند.

[2] – أخرجه أحمد في المسند، ط. الرسالة. برقم: 7421، مسند أبي هريرة (383/12)، والنسائي في السنن الكبرى، باب أي النساء خير برقم: 1324 (161/5) والحالم في المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح (175/2)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب استحباب الترويج بالودود الولود (131/7)، وحكم عليه الألباني بأنه حسن صحيح وعلق عليه الذهبي، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[3] –مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح (2132/5).

والخيرية تكمن في حسن المظهر والذي يقتضي الاهتمام بالنظافة أولا والهندام اللائق ثانيا، فعلى المرأة أن تتزين بما يرضي الله أوّلا، عاملة في ذلك على إرضاء زوجها بعده.

– طاعة أوامره فيما يرضي الله طبعا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

– لا تخالفه في نفسها ومالها متى ما احتاج إلى ذلك، " أي ماله الذي بيدها".[1] ويحتمل أن يكون الرجل معسرا فلا تبخل عليه بمالها الذي تتصدق به عليه وعلى أولاده كما حدث مع زوجة عبد الله بن مسعود كما سيأتي بيانه.

فهي ككل الصحابيات، خير من أعطى لنا القدوة في حسن التبعل وطاعة الزوج، فكن حصنا منيعا لأزواجهن من الفتنة وبعدهن كل مسلمة أطاعت ربها وبعده زوجها، فساهمت بهذا في تحفيزه على أن يكون فردا فعالا يفيد مجتمعه، وهذا دورها البارز في ترقية مجتمعها من خلال زوجها.

ب – عنايتها بزوجها:

ما من امرأة إلا وكان من بين أهمّ اهتماماتها هي خدمة زوجها وبيتها، بحسن عشرته وخدمته في بيته بكل ما يحتاجه وقد يعدل هذا كما أجاب عنه النبي ﷺ فضل الجهاد من الرجال.

و قد قدّمت الصحابيات أفضل نموذج على هذا، بدءا بالسيدة فاطمة– رضي الله عنها – في قصتها مع الرحى لما سألت أباها وهي تشكوا له من التعب الكبير الذي يلحقها جراء استعماله، مقدمة النموذج الأمثل لكل النساء بعدها بكيفية الاعتناء بزوجها، و من وراءه بيتها، فكيف للمرأة أن تعمل و هي في بيتها؟.

–**عمل المرأة في بيتها:** أعمال المرأة البيتية كثيرة ومتنوعة ومهما كان قدرها عظيما وجبت خدمتها لزوجها ومراعاة ظروفه.

نستنتج هذا من حديث يرويه علي: « **أن فاطمة– رضي الله عنها– اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحن، فبلغها أن رسول الله ﷺ أتي بسبي، فأتته تسأله خادما فلم توافقه، فذكرت لعائشة، فجاء النبي ﷺ فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم، فقال: على مكنكما، حتى**

[1] – مرقاة المفاتيح (2132/5).

وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتماه، إذا أخذتما مضاجعكما، فكبرا الله أربعا وثلاثين، وأحمد ثلاثا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه ».[1]

ففاطمة بقدرها ومنزلتها عند رسول الله ﷺ إلا أنها كانت تتولى بنفسها خدمة بيتها وزوجها، لدرجة تعبها الذي بدى على بدنها من شغل الرحى. قال ابن الحبيب: " إن الزوج إذا كان معسرا وإن كانت الزوجة ذات قدر وشرف فإن عليها الخدمة الباطنية كالعجن والطبخ والكنس وما شاكله".[2]

واختلف الفقهاء في ضرورة خدمة المرأة لنفسها وزوجها أم عليه أن يحضر لها خادما، على أن ذلك ليس له أصل من السنة ويرى ابن بطال: " أن الإجماع منعقد على أنه على الزوج مئونة الزوجة كلها".[3] واستدل بقوله الطحاوي على هذا بقوله: " لم يختلفوا أن المرأة ليس عليها أن تخدم نفسها، وأن على الزوج أن يكفيها ذلك، وأنه لو كان معها خادم لم يكن للزوج إخراج الخادم من بيته، فوجب أن تلزمه نفقة الخادم على حسب حاجتها إليه".[4]

واستدل الطبري من حديث فاطمة السابق على أن " فيه الإبانة على أن كل من كانت به طاقة من النساء على خدمة نفسها في خبز أو طحين وغير ذلك مما تعانيه المرأة في بيتها".[5]

ودليله أن رسول الله لم يأمر عليا بأن يأتي بخادم أو يعطيها خادما مما أحضر من السبي بل علمها ما هو خير من ذلك من التكبير والتهليل والتسبيح وحثها على فعل ذلك والمواظبة عليه، لأنه ينفعها خير من الخادم، لأنه مبلّغ الشرع وكل عمل يقوم به سيؤخذ عليه على أنه من الواجبات، لتعليميه الناس وأخذه على أساس الاستنان به.

وما يستخلص من فقه هذا الحديث: " أن المرأة الرفيعة القدر يجمل بها الامتهان في المشاق من خدمة زوجها مثل الطحن وشبهه لأنه لا أرفع منزلة من بنت رسول الله ﷺ كانوا يؤثرون الآخرة ولا يترفعون عن خدمتهم احتسابا لله وتواضعا في عبادته".[6]

---

[1] – أخرجه البخاري في باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله برقم 313 (84/4)، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب التسبيح أول النهار، وعند النوم رقم: 2727.

[2] – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (539/7).

[3] – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (539/7).

[4] – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (539/7).

[5] – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (540/7).

[6] – ابن بطال، شرح صحيح البخاري (541/7).

وفيه من الفقه أن تستأثر الآخرة على الدنيا بالتسبيح والتكبير والتحميد، وغير بعيد عما فعلته السيدة فاطمة – رضي الله عنها–.

و هاهي أسماء بنت الصديق تقوم بنفس الأعمال رغم قدرها وهي تفتخر به، فكانت تساعد زوجها في البيت وخارجه كما سيأتي بيانه بإذن الله.

– **عمل المرأة خارج بيتها:** ففي حديث روته أسماء بنت أبي بكر الصديق: " **تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال أو مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت فكنت أعلف فرسه، وألفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه، وأعلفه، وأستقى الماء وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ع وهي على ثلثي فرسخ، قالت: فجئت يوما والنوى على رأسي ...**".[1]

فالحديث يحصي الأعمال التي كانت تقوم بها أسماء في بيت زوجها وخارجه، وأسماء من القرشيات اللواتي هاجرن مع رسول الله ﷺ وهي حامل،[2] وهي نموذج من اللواتي اتصفن بالخيرية وهذه الأعمال التي كانت تقوم بها خير دليل على ذلك، فكانت تخدم زوجها وهي في البيت فقالت: " كنت أخدم الزبير خدمة البيت ".[3]

بل لم تكتف بهذه الخدمة فكانت تخرج من بيتها لتكمل مهمتها في غياب زوجها ودليله قولها: " كنت أنقل النوى ..."، [4] وهذه الخدمة كانت خارج البيت ودليله أنها صادفت رسول الله وهي في طريقها.

فنموذج فاطمة وأسماء من الصحابيات القرشيات اللواتي خدمن أزواجهنّ في بيوتهنّ وخارجها رغم مشقة الأعمال وجلالة قدرهن، إرضاء لربهن وعملا على تهيئة الجو المناسب لأزواجهن حتى يقوموا بأعمالهم على أكمل وجه، وهكذا تكون قد ساهمت بطريقة غير مباشرة على ترقية مجتمعها من خلال زوجها وتتركه سنة لكل امرأة تسعى الى ارضاء ربها بإرضاء زوجها.

ج– الدعم المادي والمعنوي للزوج:

[1] –متفق عليه، رواه البخاري في باب الغيرة، برقم: 5224 (35/7)، ومسلم في باب جواز إرداف المرأة الأجنبية برقم: 2182 (1716/4)، واللفظ للبخاري.

[2] – أنظر فتح الباري، باب الغيرة (322/9).

[3] – فتح الباري (322/9).

[4] – فتح الباري (322/9). أنظر عمدة القارئ، باب الغيرة (207/20) و القسطلاني في إرشاد الساري، باب الغيرة (111/8).

لم تكتف المرأة بخدمة زوجها من خلال اعتنائها بنفسها عملا على تحصينه من الوقوع في المحظور، وخدمته في بيته وخارجه، بل تجاوزت ذلك، فلم تبخل عليه حتى بمالها وهذا دعما له.

مثال ذلك نجده عند خير النساء وأول سيدة في الإسلام، خديجة –رضي الله عنها– التي قال عنها ﷺ في حديث عائشة – رضي الله عنها–، قالت: **" كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها قد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء ".**[1]

ففضل خديجة على سائر النساء مذكور في الحديث، فقد تميزت عن غيرها بما ذكر في الحديث، الذي ظهرت فيه غيرة عائشة– رضي الله عنها– رغم أنها لم تعايشها إلا قليلا، ولكن كثرة ذكر الرسول ﷺ جعلها تغار منها كما ذكر دلك ابن حجر بقوله: " كان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها". [2] بالإضافة إلى أنه كثيرا ما يذكر أفضالها بقوله: " كانت فاضلة وكانت عاقلة".[3] وهذه الأسباب مجتمعة هي تاج حبه لها وتفضيلها على غيرها من زوجاته – رضي الله عنهن– حيث أ، القرطبي قال: " كان حبه – رضي الله عنها– لها لما تقدم ذكره من الأسباب وهي كثيرة كل منها كان سببا في إيجاد المحبة، ومما كافأ النبي– رضي الله عنها– به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها ". [4]

وأي دليل خير من هذا على الاعتراف لها بفضلها في حياتها وبعد مماتها.

ومما سبق نخلص إلى أن المرأة قديما وحتى حديثا كانت السند للدعم المادي وكذا المعنوي لزوجها، والمتتبع لمجريات التاريخ الإسلامي، يجد الوقفات التي سجلتها المرأة حيث كانت دعما وعونا للرجل أبا أو زوجا، وأبرزهم السيدة خديجة – رضي الله عنها– حيث كانت أول مدافع عن هذا الدين، فبذلت في سبيله أغلى ما تملكه كل امرأة وهو مالها، مؤمنة مدعمة لزوجها– رضي الله عنها– وتحملت معه مشاق الدعوة حينما حوصرت معه في شعاب مكة، وبقيت صابرت مرابطة بجانبه– رضي الله عنها– إلى أن انتقلت إلى جوار ربها.

---

[1] – أخرجه أحمد في مسنده، طبعة الرسالة باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها– (356/41) وقال عنه المعلق حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات وأخرجه الآجري، في الشريعة، باب –ذكر غضب النبي ﷺ (2193/5) وذكره ابن حجر تعليقا في فتح الباري في باب: قوله باب تزويج النبي ﷺ (137/7).

[2] – فتح الباري (137/7).

[3] – فتح الباري (137/7).

[4] – فتح الباري (137/7)، وأنظر شرح القسطلاني (186/6).

وبعدها انتقلت الأمانة إلى أمنا عائشة – رضي الله عنها– فكانت خير أنس وأشرف ملازم له– رضي الله عنها– حيث كانت أكثر النساء رواية لحديثه – رضي الله عنها– فعملت على نقل العلم النبوي وتبليغ الإسلام من منبعه الصافي.

كان هذا من الأشياء التي ساهمت بها المرأة من أجل ترقية مجتمعها الصغير ثم الكبير بالتبع.

فالزوج له دور فعال في المجتمع، وعليه فإن الاعتناء به يعتبر دعما للعملية الإنتاجية، باعتباره عنصرا فعالا في عملية التنمية بجميع جوانبها، فبعد عناء يوم كامل يعود ليسكن إليها فتشحن همته بالطاقة الإيجابية بمجرد النظر إليها لأن: " البيت الذي تقوم أسسه على المنهج الإسلامي هو سكن لأصحابه ".[1]

وهذا ما توصل إليه علماء النفس حديثا، إذا يرون: " أن من أهم ما يجب أن تقدمه الزوجة لزوجها الثقة والتشجيع والإعجاب والتقبل ".[2]

وهذا ما تقوم به المرأة دائما بدءا بالاعتناء بنفسها لما فيه من راحة نفسية و استقرار للزوج الذي يقبل بعدها على الحياة ومشاغلها بأريحية " لأن الراحة النفسية بإجماع علماء النفس هي من أهم مقومات القوة البشرية الجسدية والنفسية ".[3]

وهذا يكمن في دور المرأة الأساسي والفعال في دعم الرجل الصالح من أجل دفع عجلة التنمية بعطائها المستمر له، ودعمها الدائم له من أجل أن يكون لبنة قوية في بناء الصرح الإسلامي الكبير والذي يكون أحد أفراده " أحد العناصر البشرية ذات الإنتاجية العالية في التنمية الاقتصادية الشاملة للمجتمع الإسلامي ".[4]

– مساهمة المرأة في تكوين العنصر البشري من خلال أبنائها:

أعظم وأنبل عمل تقوم به المرأة هو الأمومة، وما أنبلها من واجب وما أجلها من وظيفة فطرية لا يستطيع القيام بها غيرها.

[1] – المرأة في الاقتصاد الإسلامي، ص: 169.

[2] – د. جون غراي، الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، كتاب مترجم، مكتبة جرير، الرياض، ط:5، 2008، ص:203، نقلا عن المرأة في الاقتصاد الإسلامي ص: 170.

[3] – د. نور الدين عتر، ماذا عن المرأة، دار الفكر دمشق. ط:4 (1981) ص: 68.

[4] – محمد الغزالي، قضايا المرأة، دار الشروق، القاهرة، ط7 (2002). ص: 114.

وهذا ما جعل المرأة القرشية تتميز على غيرها من النساء في الخيرية في قوله ﷺ : " **أحناه على ولد** ".[1]

فمن الأشياء التي تقدر قيمة المرأة هي تعاملها مع ولدها.

والحنو الذي يميز المرأة كما رأيناه سابقا هو العطف والشفقة وحسن التربية، والدور الذي تقوم به في سبيل تربية أولادها دور عظيم لا يمكن إنكاره.

أ– التنشئة الحسنة للمرأة لأبنائها:

الملاحظ من محطات التاريخ الإسلامي أن الصحابيات الجليلات حرصن على أن يبلغ أبناؤهن مبلغ الرجال، فربينهن على حب الإسلام و أهله، وهذا ما فعلته أم أنس مخالفة بفعلتها ما هو مشهور لدى المرأة–وهو الخوف على ابنائها ومشاهدتهم يكبرون أمام أعينها، في حكايتها الشهيرة مع ولدها أنس حين أخذته إلى رسول الله ﷺ وكان يبلغ من العمر عشر سنين ليخدمه فطلبت منه أن يدعو له، " فعن أم سليم أنها قالت: **يا رسول الله، أنس خادمك أدع الله له، قال: اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته** ".[2]

فحتى ينشأ أنس ومن خلاله كل الأولاد النشأة الصالحة، تحرص الأمهات على اختيار المنبت الحسن بدءا باختيار أصل الزوج إلى خلق لجو المناسب للتربية، وهذا ما فعلته أم أن حين نذرت ابنها ليخدم رسول الله ε والغرض منه أن ينهل من معينه الصافي ويحظى بدعواته، فكان لها ما طلبت حين أخذت ولدها لرسول الله وقالت:" أنس خادمك ".[3]

فكان من نتائج هذا المنبت الحسن " أن دعا له رسول الله .فاستجبت دعوته فدعا له بكثرة المال فبورك له فيه".[4]

وكانت نتيجة هذه الدعوة أن أنس " ما أصبح رجل من الأنصار أكثر مني مالا[5] ."

وهذا ديدن كل من ينشأ نشأة حسنة فيمضي بالبركة في كل شي كونه نشأ على طاعة الله.

ب– التربية على الطاعة الإيمانية:

[1] – سبق تخريجه.

[2] – صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة، ص:1166.

[3] – إبن بطال، شرح صحيح البخاري (96/10).

[4] – الشاطبي، الموافقات، تحقيق أبو عبيدة، دار ابن عفان، ط1، 1997 (229/4).

[5] – فتح الباري (229/4).

أول قدوة للمرأة المسلمة هن الصحابيات، فكانت —رضوان الله عليهن– تحرصن على تربية أولادهن على الطاعة حتى يعوّل عليهم في بناء مستقبل الأمة، فكانت لا تفعل الواحدة منهن شيئا من الطاعات إلا عوّدت ابنها عليه.

كالصيام الذي كانت تحثهم عليه، لما يغرسه فيهم من تعلم للصبر على الطاعة في سبيل ابتغاء الأجر.

فعن الربيع معوذ – رضي الله عنها– قالت في شأن صيام الأطفال: " **أرسل النبي– رضي الله عنها– غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم، قالت فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك، حتى يكون عند الإفطار**".[1]

فعلى مثل هذا الخلق؛" الصوم" كانت الصحابيات تربين أبناءهن على الطاعة وتأخذ بأيديهن نحو الخيرات.

فالكثير من العلماء حثوا على تدريب الصغار على العبادات ليعتادوا ويتدربوا عليها، وفي النتيجة تسهل عليهم متى ما بلغوا السن التكليفي لها فأصبحت لازمة عليهم.

" وفي هذا الحديث من الفقه أن من حمل صبيا على طاعة الله ودربه على التزام شرائعه فإنه مأجور بذلك".[2]

وهذا الأجر يلحق الأم كونها هي أول من يدرب أولادها الصبية على العبادة، وهذا مأمور به في فقهنا في حكم صوم الصبي، " فالجائز أن العبادات لا تجب إلا على البالغ العاقل، لكن ينبغي لولي الأمر الصغير أن يأمره بالصيام ويرغبه فيه ليعتاد عليه من الصغر ما دام مستطيعا له".[3]

وجاءت الربيع بكلامها بصيغة الجمع، وهذا دليل على أن الصحابيات كلهن تفعلن هذا مع أطفالهن، فكان ديدنهن مع الصبية اللائي يكونوهن ليصبحوا رجالا يعول عليهم، وذكر الصوم كعبادة، والهدف من ورائه سائر العبادات ومثاله ما حدث في الحج، " فعن النبي– رضي الله عنها– أنه لقي ركبا بالروحاء، فقال: من القوم؟، قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت ؟، قال رسول الله فرفعت إليه امرأة صبيا، فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر".[4]

[1] – صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان (../..).

[2] – إبن بطال، باب صوم الصبيان (107/4).

[3] – محمد بن إبراهيم التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، ط5، (2009)، باب أحكام الصيام (152/3).

[4] – صحيح مسلم، كتاب الحج، باب صحة حج الصبي، وأجر من حج به، رقم: 72 (974/2).

ففي هذا الحديث دلالة على أن: " الصبي له حج من ناحية الفضيلة وإن لم يحسب على الفرض ".[1]

والمرأة المسلمة عملت على تربية أولادها على حب العبادات منذ نعومة أظفارهم، حتى قبل أن تفرض عليهم، ودليله هذه الصحابية، فأعتبر رسول الله- رضي الله عنها- حج الصبي صحيحا من خلال هذا الحديث وهذا: " مذهب مالك والشافعي وأحمد والعلماء كافة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم أنه يصحّ حجّ الصبي ويثاب عليه ".[2]

وهذا ما فعلته الصحابية بابنها وهو صغير، في حين خالف أبو حنيفة الجمهور فقال: " لا يصحّ له إحرام ولا حجّ ولا ثواب فيه ولا يترتّب عليه شيء من أحكام الحجّ قال وإنما يحج به ليتمرّن ويتعلّم ويتجنب محظوراته للتعلم ".[3]

وما ينطبق على الحج ينطبق على بقية العبادات، بغض النظر عن اختلافات الفقهاء في الجواز من عدمه، فالذي يهمنا هو ما كانت عليه المرأة مع أولادها من أجل أن تنشئهم نشأة صالحة لينفعوا بعد ذلك مجتمعهم كلما كانوا صالحين.

فهذه الصحابية لم تترك فرضها، ولم يثنها ولدها الصغير عنه، بل جعلته يشاركها فيه، بإقرار الرسول- رضي الله عنها- على الثواب الذي تناله عليه وبالتبع يناله هو.

وبهذا تكون المرأة قد هيأت الجو الملائم والتربة الخصبة لتكوين الفرد الصالح الذي يفتح عينيه على الطاعة والعبادة، فيتخرّج من مدرستها متشبّعا بالقيم والمبادئ، ليكون بعد ذلك رجلا صالحا يضع بدوره لبنة في بناء مجتمعه.

خاتمة:

بعد كل هذا العمل الذي تقوم به المرأة في بيتها، لا يمكن أن يقال عن المرأة الماكثة بالبيت عاطلة عن العمل، وهي التي يتخرّج على يديها جميع الرجال، وأي عمل أعظم من هذا!؟ ويكفيها فخرا كل هذا العمل من أجل بناء مجتمع سليم.

[1] – شرح السنة للبغوي، باب حج الصبي (23/7).

[2] – شرح النووي على مسلم، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز (161/8).

[3] – شرح النووي على مسلم (101/8).

فلا يمكن بحال أن نصف من يقوم بهذا العمل بالعاطل عن العمل، كيف وقد اعتبر عملها لأسرتها: " عمل وإنتاج حقيقي ينبغي ألا ينظر إليه على أنه بطالة، بل هو أشقّ من العمل في المؤسّسات والمصانع والمتاجر، وأنفع حيث لا يستطيع القيام به غيرها بخلاف الأعمال التي تقوم بها خارج الأسرة ". [1]

لذلك اعتنى الإسلام بحفظ النسل وجعله من الكليّات الخمس التي يقوم عليها التشريع الإسلامي لأهميته.

فالعنصر البشري المتمثل في الأبناء دعامة أساسية لبناء مجتمع منتج، إذا ما روعيت الأسس السليمة في تكوينه وبنائه، وبناء شخصية متكاملة جسديا ونفسيا وهذا دليل على جهد المرأة الكبير في: " دعم إنتاجية العنصر البشري، لأنها التي تربية وتقدمه إلى المجتمع " .[2]

ومن هنا يبرز دور الأم الكبير في اعتبارها مدرسة، كما قال الشاعر: الأم مدرسة إذا أعددتها... أعددت شعبا طيب الأعراق.

وبهذا تكون الأم المسلمة الحانية على أولادها، لها دور عظيم في إيجاد عناصر فاعلة في المجتمع إذا ما ربتهم على القيم والمبادئ التي دأبت عليها هي، فترتقي بمجتمعها إلى مراتب عليا.

[1] – أبو البصل، أثر عمل الزوجة. ص:91، نقلا عن حكم النفقة الشرعية للزوجة العاملة ص:80.

[2] – الغزالي، قضايا المرأة المسلمة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشرروق، القاهرة، ط:7، 2002، ص: 116.